

شرح العيون

في

شرح رسالة ابن زيدون

تأليف

جمال الدين بن نباتة المصري

٦٨٦ - ٧٦٨ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر

دار الفكر العربي

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

مطبعة الميمنية

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصدير

١ - ابن نباتة(*)

عُرِفَ باسم « ابن نباتة » أربعة من أعيان العربية وفضلائها ؛ أولهم ابن نباتة الفارقي خطيب حاب ، والمتوفى بها سنة ٣٧٤ هـ ، وثانيهم ابن نباتة السعدي شاعر سيف الدولة ، والمتوفى ببغداد سنة ٤٠٥ هـ ، وثالثهم ابن نباتة المحدث شمس الدين ، والمتوفى بدمشق سنة ٧٥٠ هـ .

الرابع ولده ابن نباتة المصري جمال الدين ، أمير شعراء المشرق ، وصاحب الديوان المعروف باسمه ، وشارح رسالة ابن زيدون .

(*) مراجع زرجنة :

الأعلام لحيدر الدين الزركلي ٧ : ٢٦٨ / البداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ٣٢٢ / البدر البشتكي (مقدمة ديوان ابن نباتة المطبوع سنة ١٣٢٣هـ) / البدر الطالع للشوكاني ٢ : ٢٥٤ - ٢٥٤ / تاج العروس (مادة - نبات) / تاريخ الآداب العربية لزيدان ٣ : ١٢٢ / تاريخ الأديب العربي لبوكلمان ٢ : ١١ ، والملحق ٢ : ٤) / تاريخ ابن لاس ١ : ٢٢٢ ، ٢٢١ / تقديم أبي بكر (خزائن الأدب) لابن حجة الحموي ٢٨٩ - ٢٩٣ / ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ٤٨ - ٤٩ / حديقة الأفراح لأحمد الأنصاري ١١٧ ، ١١٨ / حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٣٤٥ / دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ / الدرر الكامنة لابن حجر ٤ : ٢١٦ - ٢١٨ / رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٠ ، ٥١ / شذرات الذهب ٦ : ٢١٢ / طبقات الشافعية ٦ : ٣١ / عقد الجمان للعيني (مصورة لدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ) وفيات سنة ٧٦٨ / فهرس دار الكتب المصرية ٣ : ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٦٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ / فهرس المخطوطات المصورة (فؤاد السيد) ١ : ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ، ٤٨٠ / فهرس المخطوطات المصورة (لعلي عبد البديع) ٢ : ٢٨ ، ٢٩ / كشف الظنون ٣ : ٤٨٠ ، ٧١٤ ، ٨٤١ ، ٩٦١ ، ٩٧٩ ، ١٠٠٩ ، ١٠٤٧ ، ١٢١٥ ، ١٢٤٣ ، ١٣٥١ ، ١٦٠٣ ، ١٧٢٠ ، ١٨٥٠ / ١٩٣٤ / مجلة المجمع العلمي العربي (محمد أسعد طلس) ٢ : ٣٠١ - ٣١٠ / معجم المطبوعات =

وهو أبو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن شرف الدين محمد بن
أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب عبد الرحيم
ابن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي الجذامي ، حفيد عبد الرحيم الخطيب ، وولد
عالم عصره محمد شمس الدين ، وأحد أفراد الأسرة النباتية التي زكا أصلها ،
وطابت فروعها ، ونفر في شعره بالانتساب إليها :

وَرثْتُ اللَّفْظَ عَنْ سَلَفِي وَأَكْرِمَ بَالِ نُبَاتَةِ الْغُرِّ الشَّرَافِ (١)
فَلَا عَجَبٌ لِلْفُظَى حِينَ يَحُلُوْهُ فَهَذَا الْقَطْرُ مِنْ ذَلِكَ النَّبَاتِ

كان مولده بمصر المحروسة في ربيع الأول سنة ست وثمانين وستائة ، برّ قاق
القناديل ، أحد مواطن الأشراف والأعيان في ذلك الحين (٢) ؛ على عهد الملك
المنصور قلاوون ؛ ولم يكد يُجاوز سنّ الحداثة حتى توجه للدرس والتحصيل والأخذ
بأسباب العلوم والآداب ؛ فتلقّى على أبيه علوم القرآن ؛ وكثيرا ما كان يصحبه
إلى زيارة أصدقائه من الفضلاء ؛ منهم ابن دقيق العيد ، بدر العلماء وكوكبهم
اللامع ؛ فبدّله على نفائس الكتب ، ويحثّه على قراءتها ؛ يذكر ابن نباتة منها

= لسركيس ١ : ٢٦٢ ، ٢٦٢ / معجم المؤلفين لعمر كحالة ١١ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / الفصل
في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٠٦ - ١٢٣٥ / المنهل الصافي لابن تغري بردي (مخطوطة دار
الكتب ، رقم ١١١٣ تاريخ) ج ٣ ص ورقة ٢٩٤ - ٢٩٩ / النجوم الزاهرة لابن تغري
بردي ١١ : ٥٠ / هداية العارفين ٢ : ١١٦٤ / الوافي بالوفيات للصفدي ١ : ٣١١ - ٣٣١ /
الوسيط في الأدب العربي ٣١٤ .

ولإسماعيل حسين رسالة اسمها ابن نباتة الشاعر المصري . وقد عمل الأستاذ محمد حلمي
بجنا مدرسيا ضمنه ترجمة عن محمد عبده وابن نباتة ، وقام الأستاذ عمر موسى باشا بدراسة
شاملة أودعها رسالته « ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق » .

ونص صاحب النجوم الزاهرة على ضبط النون من كلمة « نباتة » . وذكر الأستاذ خير الدين
الزركلي أنه رأى نسخة قديمة في مكتبة اللورنزيانة وعلى نون « النباتي » فيها ضمة .

(١) ديوانه ٨١ .

(٢) الإقتصار لابو دقاق ٤ : ١٣ .

ديوان الحماسة ، والذخيرة لابن بسام . وجلس إلى شهاب الدين الخلاوي ،
وعبد العزيز الحصري ، وتلقى عنهما الحديث ، كما ورد شريعة الشيخ الأبرقوهي ،
فأخذ عنه السيرة النبوية بقراءة ابن سيد الناس عليه ، وغير هؤلاء من علماء
عصره .

أما الأدباء والشعراء ؛ فقد لقي أيضا منهم الكثير ؛ ذكر منهم في إجازته
للصفدي^(١) الشيخ علم الدين حسن بن سلطان المصري من أهل منية ابن الخصيب ؛
قال : قرأت عليه كثيرا من الكتب الأدبية ؛ وكان كثيرا ما ينشدني إلى أن
أنشدته قولي :

يا غائبين تعللنا لغيبتهم بطيب لهو ولا والله لم يطيب^(٢)
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تعب
فقال : أتعب والله جذعك القرح .

والشيخ العالم بهاء الدين محمد بن محمد المعروف بابن المفسر ، قال : أنشدني
يوماً لنفسه :

لا أرى لي في حياتي راحة ذهبت لذة عيشي بالكبر
بقي الموت أمثلي ستره يا إلهي أنت أولى من ستر
فأنشدته لنفسه :

بقلت وجنة الحبيب وقد ولى زمان الصبا الذي كنت أملاك^(٣)
يا عذار الحبيب دعني فإني لست في ذا الزمان من خل بقلك
والشيخ الأديب سراج الدين عبد الوارث المصري ، قال : أنشدني لنفسه :

(١) الوافي بالوفيات ١ : ٣١٤ - ٣١٩ .

(٢) ديوانه ٦٤ .

(٣) الوافي بالوفيات .

يَا خَجَلْتِي وَشَمَاتِي سُودٌ غَدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَزْوَارِ فِي إِشْرَاقٍ
وَمَوْبِخٍ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَاتِلٍ أَكْذَابُ تَكُونُ صَحِيفَةُ الْوَرَقِ!
والأديب نصير الدين المناوي، قال: أنشدني لنفسه:

أَحَبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيَّ وَمَا حَوَتْ غَزَالٌ تَبْدَى لِي بِكَاسٍ رَحِيقٍ
وقد شهدت لي سُنَّةُ اللَّهِ أَنِّي أَحَبُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ كُلِّ عَتِيقٍ
فأنشدته لي:

إِنِّي إِذَا آتَيْتُ هَمًّا طَارِقًا عَجَلْتُ بِالذَّاتِ قَطَعَ طَرِيقَهُ^(١)
وَدَعَوْتُ أَلْفَاظَ الْمَلِيحِ وَكَاسَهُ فَنَعِمْتُ بَيْنَ حَدِيثِهِ وَعَتِيقِهِ

وهكذا قضى جمال الدين بن نباتة صدر أيامه وأوّل حياته في صحبة العلماء
يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ، وَيَحْمِلُ الْعِلْمَ عَنْهُمْ، يُوَمِّعُ الْأَدْبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ يَطَارِحُهُمُ الْكَلَامَ
وَيَطَارِحُونَهُ، وَيَنْشُدُهُمُ الشُّعْرَ وَيَنْشُدُونَهُ؛ وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ وَالْأَسْفَارَ
يَتَقَصَّصُ مَا فِيهَا مِنْ مَعَارِفٍ، وَيَعْنِي مَا حَوَتْهُ مِنْ آدَابٍ، حَتَّى أَصْبَحَ وَلَمَّا يَبْلُغُ -
الثَّلَاثِينَ؛ مِنْ زَعَمَاءِ الشُّعْرِ وَأَمْرَاءِ الْكَلَامِ.

ثم أخذت الأيام به في مصر تَمْضِي، وَالشَّبَابُ يَطْوِي مَطَارِفَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا؛
وَيَصْبَحُ فَإِذَا لَهُ زَوْجَةٌ وَأَوْلَادٌ؛ فَيُضِيقُ بِهِ الْعَيْشُ، وَيَتَرَنَّقُ أَمَامَهُ الصَّفْوُ،
وَيَنْفَسُ بِالشُّكْوَى:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا عَمْرٍ عَجِيبٍ أَقْضَى فِيهِ بِالْأُنْكَادِ وَفَتًى^(٢)
مِنَ الْأَوْلَادِ خَمْسُ حَوَلٍ أَمَّ قَوَّاحَرَبَاهُ مِنْ حَسٍّ وَسِتٍّ!
ويبحث عن وظيفة في الديوان فلا يجد؛ ويمدح الأمراء فلا يظفر إلا

(١) ديوانه ٣٥٢.

(٢) ديوانه ٨٠.

بالكفاف ؛ ثم تَطَلَّ الديار المصرية الفتنُ والزَعازعُ المَوجُ ، وَيَشِيعُ الانقسام
بين الأمراء ؛ وتُحَاكُّ الدسائسُ في قصور الممالك ؛ وتُرَوَّى أحاديث السلب
والنهب في كل مكان ؛ فيضيق لكل ذلك صدره ؛ وَيَتَشَقَّبُ فؤاده ؛ وينوى
الرحيل عن وطنه الحبيب ؛ وإنْ أَضَالَعَهُ لتنعني على الهمِّ والأسى ، أن يفارق
مسقط رأسه ؛ وَمَلَّهَى حَدائنه ، ومِلَّتْ أَعْدَانُه وأترابه .

مَوَاطِنُ أَهْلِي ثُمَّ صَحْبِي وَجِيرَتِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَاهَا

* * *

وفي سنة ٧١٦ سافر إلى الشام - على ما ذكره ابن حجر - وأَتَخَذَ دمشق
له مستقراً ومقاماً ؛ وفيها لقي والده شمس الدين ؛ وقد كان سبقه بالرحلة إليها
وتولى دار الحديث الثورية بها ، فكان كل ما يحصل له ينقله على أحفاده أولاد
جمال الدين ؛ وهناك طاب له العيش ؛ وأُخِلَّ إلى شيء من راحة وسكون ^(١) .

وكان إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد المعروف بأبي الفدا ، أحد الأمراء
الأيوبيين الذين تولوا حماة من قبل الملك الناصر ؛ ومنحه استقلالاً بها ، وكان
رجلاً فاضلاً ؛ وعالماً بحجراً ؛ له مشاركة في شتى العلوم والآداب ؛ في الفقه
والتفسير ، والأصول ، والنحو ، والتاريخ ، والموسيقى ، وتقويم البلدان ؛ وله في ذلك
مؤلفات ؛ والملك سوقٌ يَجْتَلِبُ إليه ما يَنْفَقُ عنده ؛ لذلك هَوَتْ إليه أفئدة
العلماء ؛ ورَحَّلَ إليه الشعراء ؛ وقيلت فيه المدائح والمطولات ؛ ففتح الجزيل ،
وأعطى الكثير ؛ وغدت ساحته بحجة مَرِيداً وعُكَاظاً .

فلم يجد ابن نباتة بُدّاً من التوجه إليه ، ووصل حبله بحباله ، كما ذهب إليه
من قبله صفي الدين الحلي والشهاب محمود الحلبي وغيرها ؛ وما إن حل بساحته ،

ووقعت عيناه عليه حتى أحبه وشفي به ، وملاً عليه نفسه من أقطارها ، وكان
المتنبى كان يُنشد بلسانه حينما لقي ابن العنيد :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا شَاهَدْتُ رَسْطَ أَلَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا
وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأُضَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ النَّصَارَ لِمَنْ قَرَى
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مَتَمَلَّكَا مُتَبَدِّئَا مُتَحَضَّرَا
وَأَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا
نُصِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا

وفي حماة ، وبجانب مليكها العظيم ، عاش ابن نباتة أسعد أيام حياته ، وأهناً
مراحل عيشه ؛ وفيها تفتتت قريحته عن أروع شعره وأخلده على الأيام ؛ بل
فيها نسي نيله ومصره ، وأهله ووطنه :

أَلَمْ تَرَ أَنَا قَدْ سَلَوْنَا بِأَرْضِهِ مَرَادًا لَنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ وَمَرْبَعَا
إِذَا ابْنُ تَقِيٍّ الدِّينِ جَادَ نَبَاتُهُ عَلَيْنَا فَلَا مَدَّتْ يَدَ الدَّيْلِ إَصْبَعَا
وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، غَيْرَ مَا كَانَ يُتَحَفَّهُ ، وهو مقيم بدمشق ^(١) .

وبروحه أنشأ أجمل الرسائل وأحلاها ، وسجع بأعذب الألفاظ وأبهاها ،
وفي كنفه ألف كتاب « مطلع الفوائد » ، وثناه به « سجع المطوق » ، وعمل له
كتاب « الفاضل من كلام القاضي الفاضل » ، وجمع من مداخله فيه طاقة من
الشعر سُميت به « الملوئديات » مازالت على الزمن ينفخ عرقها ، ويتضوق شذاها ،
يقول في إحداها :

مَلِكٌ بَاهِرُ الْمَكَارِمِ يَزْوِي وَجْهَ لُقْيَاهُ عَنْ عَطَاءٍ وَبِشْرِ ^(٢)
زُرْتُ أَبَوَايَ فَقَرَّبَ شَخْصِي وَحَا عُسْرَتِي وَتَوَّه ذِكْرِي

(١) ثمرات الأوراق ٤٨

(٢) ديوانه ١٨٤

وَنَحَا لِي مِنَ الْمَكَارِمِ نَحْوًا
وَتَقَنَّنْتُ فِي مُفَاوَضَةِ الشُّكِّ
أَرْحَى مِنْ الْمُلُوكِ أَرَبًا
رَبِّ خَلْقٍ أَرْقَ مِنْ أَذْمُعِ الْخُذْ
كُلَّ أَيَّامِنَا مُوَاسِمَ فَضْلٍ
وَيَقُولُ فِي أُخْرَى :

يَا مَلِيكَ أَحْيَا الثَّنَا وَالْعَطَايَا
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَزِيدَكَ فَضْلًا
صُنْعَتِي عَنْ أَذَى الزَّمَانِ وَقَدْ حَا
وَأَنْتَبَرَى غَيْمُكَ الْهَيْهَاتُ بِجَدْوَى
وَيَقُولُ أَيْضًا :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي
وَسَمَا بِهِمَّتِهِ عَلَى
حَتَّى اتَّقَى مِنْ زَهْرِهَا
سَقِيًّا لِدَهْرِكَ إِنَّهُ
مُتَرَادِفٌ لِدَوَى الرَّجَا
لَوْلَاكَ مَا أُمْسَتْ قَرِيبُ
أَنْتَ الَّذِي رَوَتْ غَمَا
وَأَجَمْتَنِي بِحُجْرِ النَّدَى
لَا غُرُوَ إِنْ سَلَّيْتُ عَنْ
فَلَقَدْ وَجَدْتُ دِيَارَ مَدَى
فَهَرْتُ حِمَاةً لِي الْمَدَا

رَدَّ الْحَقَائِبَ شَاكِرَةً (١)
غُرَّرَ النُّجُومَ الزَاهِرَةَ
هَذَى الْخِلَالَ الْبَاهِرَةَ
دَهْرُ الْإِيَادَى الْوَافِرَةَ
بِهَيْبَتِهِ الْمَدَى وَاتَرَهُ
حَتَّى الْبِكَلِيلَةَ شَاعِرَهُ
نَمُّهُ رُبَايَ الْعَاطِرَةَ
حَتَّى نَظَمْتُ جَوَاهِرَهُ
بِلَدَى حَشَايَ الذَّاكِرَةَ
بِكِكَ بِالسَّعَادَةِ عَامِرَةَ
خِمَاةً عِنْدَى الْقَاهِرَةَ

وهكذا عاش ابن نباتة بلبلًا يعرِّد في روضة أوى القدا ؛ وينال من أعطياته
 ما لم ينله الثواصي من الرشيد ، والمتنبى من سيف بن حمدان .
 وفي سنة ٧٣٢ مات الملك المؤيد ، وبموته انحلت صحيفة مشرقة من حياته
 وطوى بساط أخضر من عيشه ، إلا أن صلته بملوك حماة لم تنقطع بموته ، فلم
 يلبث أن تولى الملك الأفضل بعد أبيه ، فصار إليه ، وأنشده قصيدته المشهورة ،
 هناء فيها بالملك ، وعزاه في أبيه الراحل :

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ الْعِزَّاءَ الْمَقْدَمَا	فَمَا عَبَسَ الْحَزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا ^(١)
تُغَوِّرُ ابْتِسَامٍ فِي تَغَوِّرِ مَدَامِعِ	شَبِيهَانِ لَا يَمْتَارُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا
نَزْدَ مَجَارَى الدَّمْعِ وَالْبُشْرِ وَاضِحٌ	كُوَابِلُ غَيْثٍ فِي ضَحَى الشَّمْسِ قَدَّمِي
سَقَى الْغَيْثُ عَنَّا تَرْبَةَ الْمَلِكِ الَّذِي	عَهْدُنَا سَجَايَاهُ أَبْرٌ وَأَكْرَمَا
وَدَامَتْ يَدُ الثُّغْمَى عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي	تَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَعَزَّيْهِ الْحَيُّ
مَلِيكَانِ هَذَا قَدْ هَوَى بَصْرِيحُو	بَرْغَمِي وَهَذَا لِلْأَسِيرَةِ قَدْ سَمَا
وَدَوَّجَهُ مُلْكٌ شَادَوِي تَكَافَاتِ	فَقُصْنُ دَوَى مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا
قُصْدَنَا لِأَعْنَاقِ الْبَرِيَةِ مَالِكَا	وَشُمْنَا لِأَنْوَاعِ الْجَلِيلِ مَتَمَا
إِذَا الْأَفْضَلُ لِلْمَلِكِ اعْتَبَرَتْ مَقَامَهُ	وَجَدْتَ زَمَانَ الْمَلِكِ قَدْ عَادَ مِثْلَمَا
أَعَادَ مَعَانِي الْبَيْتِ حَتَّى حَسَبْتَهُ	بُوزُنَ الثَّنَا وَالْحَمْدِ بَيْتًا مَنْظَمَا
وَنَادَاهُ مُلْكٌ قَدْ تَقَادَمَ إِرْتُهُ	قَقَامٌ كَمَا تَرْضَى الْعَلَا وَتَقْدَمَا
تَقَابِلَ مِنْهُ مَقَلَّةُ الدَّهْرِ سَوْدَدَا	صَحِيمَا وَتَنْضُؤُ الرَّأْيِ عَضْبَا مَصْتَمَا
وَيَقْسَمُ فِينَا كُلُّ سَهْمٍ مِنَ التُّدَى	وَيَبِيعُ لِلْأَعْدَاءِ فِي الرُّوعِ أَسْهَمَا

وجرى الأفضل على سنن أبيه ، فقربه إليه وأدناه ، وأغدق عليه ورعاه ؛
 وهو يحزبه للدأخ السائرة ، والقصائد الفاخرة .

ما سمعنا للأفضل الفرد ثانٍ حَبَّذَا في ثنائنا من بدیع^(١)
 شاذویّ المقام یاوی علاه بمحلّ علی السَّکِّ رفیع
 ذوندى کاملٍ ومجدٍ مدیدٍ ووفاً وافرٍ وعزٍّ سریع
 وسجایا کالترّوض تبسم بالزهر — وبأسٍ یُنیلُ الطَّبَا بالتَّجیع
 من ملوکٍ تفقهوا فی حیّ الملک فرَدُّوا للأصلِ فضلَ الفروع
 ونضوا فی حماءِ هیبةِ مُلکٍ یستردُّ العاصی مردّ المطیع
 یا ملیکا سقى نِداهُ نباتاً زا کیا زرعُ حدیه فی الزروع
 وصلتنی النعمی ولم تَسْرِ عِسی بفِلاةٍ ولم تُشدَّ نُسوی
 کرماً مِنْکَ سوف تتلو التوارى — نخُ ثناء علی رءوس الجمع
 لک مِنی الدعا ونظمُ القوافی فأعْرِها لازلت فکر السمع
 وأبن للمادحين منصوبَ ذکرٍ بحديث المکارم المرفوع

وله عمل أرجوزته المسماة بفوائد السلوك في مصاديد الملوك ، والتي حاكي فيها
 شعراء العصر العباسي من قالوا في هذا الفن ؛ كأبي نواس وابن المعتز ؛ يقول فيها :

لله ذاك السفح والوادي الفرد	والماء معسول الرضاب مطرد
بصبرها الراي فكيف السامع	ويحمد العاصي فكيف الطائع !
محاسن تلهى العيون والفكر	ريبع رؤضات وشخرو صقر
أمام كل منزل بستان	وبين كل قرية مئيدان
فيدير الأسد يا فلان	واغتم متى أمكنتك الزمان
ولا تقل مشى ولا مصيف	فكل أوقات الهنا شريف
كل زمان ينقضى بالجدل	زمان عيش كيفما دار اعتدل
أحسن ما أذكر من أوقاته	وخير ما ألفت من لذاته

يُرَوِّزُنَا لِلصَّيْدِ فِيهِ وَالْقَنْصِ وَجَوَّزُنَا مِنْ مَرَّةٍ أَحَلَّى الْفُرْصِ
وَأَخَذْنَا الْوَحْشَ مِنَ الْمَسَارِبِ وَفَعَلْنَا فِي الطَّيْرِ فَوْقَ الْوَاجِبِ
لَمَّا دَنَا زَمَانُ رَمَى الْبَنْدَقِ سَرَّيْنَا عَلَى وَجْهِ السَّرُورِ الْمَشْرِقِ
فِي عَصِيَّةٍ عَادِلَةٍ فِي الْحُكْمِ وَغِلْمَةٍ مِثْلَ بَدُورِ التَّمِّ
مِنْ كُلِّ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأَطْيَارِ تَظَلُّهُ غَمَامَةُ الْغُبَارِ
وَكُلَّ مَعْسُولِ الشَّبَابِ أَغْيَدِ مَنْعُطٍ عَطَفَ الْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ

ولكن الأفضل لم يلبث أن اضطربت أمور مملكته اضطراباً انتهى
بجزله ثم موته سنة ٧٤٢ ؛ وبموته انتهت حياة الأسرة الأيوبية بحماة ، وانقطعت
مدائح ابن نباتة لهذا البيت العظيم ، كما انقطع مَعِينُ الرُفْدِ والعطاء ؛ وعاد الزمان
بيدي لابن نباتة صفحة جديدة من الهم واضطراب الأحوال ؛ « فاقصر على
الإقامة بدمشق ، والانجتماع عن الناس ، وقرره صاحب أمين الدين رحمه الله
أن يكون في كل سنة ناظر القيامة (القيامة)^(١) بالقدس الشريف ، أيام زيارة
النصارى لها ، فيتوجه بياشر ذلك ويعود ، وأضيف له إلى نكد الزمان أنه
لم يعيش له ولد ، فدفن فيما أظن قريبا من ستة عشر ولدا ، كلهم إذا ترعرع وبلغ
خمسا أو سبعا أو توفاه الله ، فيجد لذلك الآلام المبرحة ، ويرثيهم بالأشعار

(١) قامة ، كنيسة للنصارى ببيت المقدس ، وفي ديوانه ٧٢ ؛ أبيات بهذه المناسبة :

مُشَاهِدَ الْقُدْسِ حَيًّا جَمَالِكَ صَوْبُ الْقَمَامَةِ
حَتَّى أَرَانِي مِنْ مِصْرَ رَأَوْا لِقَدْرِي قَامَتُهُ
مَاتَتْ قِيَامَةُ قَوْمٍ رَأَوْا لِقَدْرِي قَامَتُهُ
وِظِيفَةُ قِيلَ مَا ذِي ؟ قَلَّتْ قَوْلُ السَّلَامَةِ
قَامَتُهُ عِنْدَ قَوْمٍ وَعِنْدَ قَوْمٍ قِيَامَتُهُ

الرائقة الرقيقة» (١)

وأمين الدين المذكور كان أحد نظار الدواوين بدمشق ؛ حينما أقام ابن نباتة فيها بعد موت الأفضل ، وتوطدت بينهما المودة والصداقة ؛ وصاحبه في رحلاته وأسفاره ؛ وله عمل الرسالة المعروفة بـ « حظيرة الأئس إلى حصرة القدس » ؛ أوردها صاحب ثمرات الأوراق في كتابه .

ثم أضيفت إليه وظيفة أخرى بدمشق في ديوان التوقيع ؛ والتوقيع في عصر المماليك كان يطلق على أحد ضروب الرسائل والمكتبات الديوانية ؛ يشبه المراسيم ؛ وكان لابن نباتة في ذلك شأو بعيد ، وتوقيعات عرف بها ، جمع طائفة منها في كتابه المسمى : « تعليق الديوان » .

* * *

وكان على مضي الزمن وتعاقب الأيام يهتف بذكر مصر بين الحين والحين ، ويعاوده الحنين إليها ، وإلى نيلها وأهرامها ، وربوعها ومعاهدها ، حنين يفيض في شعره ، وينبع من قلبه ، يقول :

يا ساري البرق في آفاق مصر لقد
أذكر تني من زمان النيل ما عذبا (٢)
حدث عن البحر أو دمي ولا حرج
وانقل عن النار أو قلبي ولا كدبا
واندب على الهرم الغربي لي عمرا
فخذنا هرم فارقته وصبا
ويقول :

بأي الحدود العاريات من البكا
اللابسات من الحرير جلابيا (٣)

(١) الواق بالوفيات ١ : ٣١٢ .

(٢) ديوانه ٣١ .

(٣) ديوانه ٢٦ ، ٢٧ .

والزاهرات بأرض مصر كواكبها
 آها لمصر وأين مصر وكيف لي
 حيث السبيبة والحبيبة والوفاء
 والطرف يركع في مشاهد أوجه
 والدهر سلم كيفما حاولته
 عقدت بها طرر الشعور محاربا
 لا مثل دهرى في دمشق محاربا

وفي الوقت الذي اشتد فيه حنينه ، وقطع أئينه : كان السلطان الناصر حسن
 ابن قلاوون يحكم مصر ، فأرسل إليه يمدحه ، ويشيد بأجداده ، يقول في
 إحداها :

ولمى لمشتاق إلى ظل روضة
 لئن حثني باب اليزيد إلى مصر
 إلى مصر يحملونيها مخضب الثرى
 لسلطان مصر الناصر بن محمد
 تجمعت الأمطار في مصر طاعة
 سلام على إسكندر الوقت إن يفتح
 ملك روت أحماله سير الثقى
 أجل بيوت الملك بيت قلاوون
 على النيل أروى العيش فيها عن النضر^(١)
 لقد حثني باب الزيلولة في النزر
 فيغنى للورى في الخاليتين عن القطر
 على كل مصر طاعة البر والبحر
 وهل تجمع الأمطار إلا على مصر !
 شدا الذكر عنه والسلام على الخضر
 عن الملك المصرى عن الحسن البصرى
 وأنت أجل البيت يا وارث الدهر

فاستجاب له السلطان ، واستدعاه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٧٦١ ،
 وكتب في المرسوم أن يصرف له كل ما يتجهز به ، وأن يجمع له ما انقطع من
 المعالم إلى تاريخه ، فجمع له ذلك ، وتجهز إلى مصر ، فقدمها وهو شيخ كبير .

وعاد ابن نباتة إلى وطنه ، وتجركت فيه نوازع الشعر ، وهزه عطف السلطان
 وأعطياته ، فأخذ ينفذ فيه المدايح ، ويصوغ حرّ القريض ؛ وأعجب السلطان

بشعره ، فأمر بنسخ ديوانه ، وأن يُوضع في أعز مكان من مكاتب قصوره .
وفي كنف هذا السلطان أُلّف ديوانا لاخطب الجمعة ، على نحو ما فعله
جده الأكبر عبد الرحيم .
ثم قرّر من بعد موقع الدّست وأُعفي من الحضور ، وأمر السلطان إجراء
معلومه ، فزما صريف له ، وربما لم يُصرف ، إلى أن مات في ٧ صفر سنة ٧٦٨
بالمريستان القوري ، ودُفن بمقابر الصوفية ؛ بعد أن ملأ الدنيا شعراً ونثراً ،
ورزماً وعطراً .

٢ - كنهه وآثاره

١ - إيراد الأخبار : ذكره الصدقي وابن حجر وصاحب كشف الظنون وصاحب كتاب هداية العارفين (١)

٢ - النسخة الإنسية في الرحلة القدسية : ذكره الصدقي وقال : إنه سمعه من (٢)

٣ - حطابق الديوان : تضمن توقيعاته حين ولّى التوقيع في الديوان : ذكره (٣) وقال : منه نسخة محفوظة في مكتبة برلين .

٤ - جلالة القطر : مجموعة من شعره : ذكره البدر البشتكي في مقدمة الديوان .

٥ - حظيرة الأنس إلى حضرة القدس : وهي وصف رحلته إلى بيت المقدس مع صاحب أمين الدين سنة ٧٤٥ هـ : أوردها ابن حجة الحموي في كتاب ثمرات الأوراق (٤) .

٦ - خبر الشدير : في بعض مخطوطاته وما سرق منه ، قال ابن إياس : ومما وقع للشيخ جمال الدين أنه كان يخرع المعنى الغريب في شعره الذي لم يسبق إليه ، فيعارضه فيه صلاح الدين الصدقي ، ويأخذه عنه وزنا وقافية ، وينسبه لنفسه : كما قيل في المعنى :

وفى يقول الشعر إلا أنه فيما علمنا يسرق المسروقا

(١) ذكره ابن حجر بإسمه : « إيراد الأخبار » ، والصدقي بإسمه « إيراد الأخبار » ، والأنس ما ذكرته من الأوراق بالرفقات .

(٢) أوردها صاحب كشف الظنون بلفظ « النسخة الإنسية » .

(٣) ص ٢٣٨ - ٢٤٨

قال الشيخ جمال الدين : فلما جال على الأمر في ذلك جمعت كتابا
فيما قبلت وسرقه مني ، ونسبه إلى نفسه ، وسميت هذا الكتاب « خبز
الشعر » ، لأنه ما كُول مدموم ؛ وقد أعجب ابن حجة بهذا الكتاب
ونقله في كتابه المسمى « تقديم أبي بكر » ، والعلوي بمقتوان « خزانة الأدب » .
٧ - تلطيف المراجع في شعر ابن حجاج : قال في مقتضاه : « فإني رأيت نتائج أفكار
الشعراء ذرية بعضها من بعض ، وأمم أشعارهم تبعث في صعيد واحد من
الأرض ، إلا أشعار الأديب الفريد أبي عبد الله الحسين بن الحجاج ؛ فإنها
أمة غريبة تبعث وحدها ، وذرية عجينة تبلغ بإتفاق اللهو واللعب وشدها ،
لم يحيط خاطر أحد بمثلا خيرا ، ولا استطاع على معارضة شهنشاهها صبرا » .
ذكره الصفدي وصاحب كشف الظنون ، وذكر بروكلمان أن
نسخة مخطوطة في أوكسفورد وبودليانا .

٨ - خطبة في تعظيم شهر رجب ، ذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة
في جوتا .

٩ - ديوان خطب جمعية : طبع بمطبعة شرق في سنة ١٣٠٢ ، ومطبعة عثمان
عبد الرزاق سنة ١٣٠٤ ، وفي بيروت سنة ١٣١١ .

١٠ - ديوان شعره : جمعه ورتبه على وزن الهجاء ، ومنه نسخ خطية بدار
الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة طلعت ؛ ونسخ أخرى موزعة
في مكتبات العالم .

وقد قام بتليده محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشقي^(١) ، يضم
ديوانه الكبير إلى باقي المجموعات الأخرى التي عملها المؤلف ، وقد ذكر أنه

رأها بخطه ، وهي : طرائف الزيادة ، ومطلع السنة ، والمؤيديات ، والقطر
النباتي ، وجلاسة القطر ، وسوق الرقيق ، والسبعة السيارة ، ورتبها جميعا
على المهجاء ، وطبع هذا الديوان بالمطبعة الوطنية سنة ١٢٨٨ هـ ، وأخرى
بمطبعة التمدن سنة ١٣٢٣^(١) .

وقام ابن حجة الحوي باختيار مجموعة من شعره سماها « بياض النبات »
ومنها نسخة بخطه في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول .

وفي دار السكتب مجموعة من شعره لم يعلم جامعها ؛ بعنوان « الدرر
المقتاته من مختار شعر ابن نباتة » تشمل على قصائد في المدح وجور الظلمة ،
رقم ١٧٣ - أدب - مجاميع .

١٧ - رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم ، منها نسخة مخطوطة بالمكتبة
التيمورية رقم ٨٦٤ أدب ، وطبع في بيروت سنة ١٣٠٢ .

١٨ - رسالة في المفاخرة بين الورد والرجس ؛ أوردها ابن نباتة في كتابه « سبع
المطوق » .

١٩ - رسالة في هجاء الحسن بن علي بن محمد المعروف بابن شلار ، قال ابن حجر :
« وكانت بينه وبين جمال الدين بن نباتة منافرة شديدة ، ولم فيها هجاء
واتفق أنه قرى على ابن نباتة قطعة من نظمه ونثره ، فكتب له : الحمد لله
حاشا من قخر ، والصلاة والسلام على محمد ما نبخ الكلب من ضوء القمر » .
واستمر في هذا النثر المسجوع ؛ وهي من عجائب ما أنشأه ابن نباتة^(٢) .

(١) وذكر الأستاذ عمر موسى باشا أن ما جمعه الدرر البشتكي من ديوانه لم يستوعب
جميع شعره ، وقال : « لأنني عثرت على مقطوعات وقصائد لم تنشر في الديوان الكبير ؛ وقد
لاحظ الأقدمون ذلك ، فأشار الشوكاني إلى هذا النقص ، فقال في كتابه الدرر الطالع في معرض
ترجمته لليدر البشتكي تلميذ ابن نباتة : « وجمع ديوان شيخه ابن نباتة وفاته كثير منه ، فاستدرك
ابن حجر ما فاته من شعر ابن نباتة في جلد » . ابن نباتة شاعر المشرق ص ٢١٢

(٢) الدرر السكينة ٢ : ٢٤ .

١٥ - زهر المنشور ، وهو كتابه في ترسل ابن نباته ؛ مما سار فيه على طريقة القاضي الفاضل .

ذكره الصفدى وابن حجر ، وابن تفرى بردى في المنهل الصافي ، وابن حجة وصاحب كشف الظنون ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن .

١٦ - السبعة السيرة ، مجموع من شعره ، ذكره البدر البشتكى في مقدمة الديوان .

١٧ - سبع المطوق ، ذكر فيه تراجم من قرظوا كتابه « مطلع الفوائد » مثل الشهاب محمود الحلبي ، والجلال القزويني ، وكال الدين العطار ، وأمين الدين بن النحاس ، وبهاء الدين بن غانم ، قال : « وسميته سبع المطوق لتطويق بالإنعام ، ولسجعي بالحامد على غصون الأفلام » .

ذكره ابن حجر وابن حجة والشوكاني وحاجي خليفة ؛ وذكر بروكلمان أيضاً أن منه نسخاً خطية بال مكتبة الأهلية بباريس ؛ وأيا صوفيا وحكيم أوغلي بإستانبول ؛ ومنه نسخ مختلفة خطية أيضاً بدار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة طلعت والمكتبة الأزهرية .

١٨ - شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ويأتي الكلام عليه .

١٩ - سلوك دول الملوك ؛ وهو كتاب في السياسة وآداب الدول والملوك وواجباتهم نحو أنفسهم ورعاياهم .

ذكره بروكلمان وقال : إن منه نسخة مخطوطة في أكاديمية فينا .

٢٠ - سوق الرقيق ؛ مجموع من شعره ؛ يشتمل على طائفة من القصائد الغزلية .

ذكره الصفدى وابن حجر والشوكاني والبشتكى في مقدمة الديوان ؛ وذكر بروكلمان أنه منه نسخة مخطوطة في مكتبة برلين وأخرى بالمكتبة الأهلية بباريس .

٢١ - شعائر البيت التقوى : ألفه لتخليد الملوك الأيوبيين الذين حكموا حماة ؛ وعلى رأسهم المظفر تقى الدين ، المهرقي سنة ٥٧٤ هـ .

ذكره الصفي وأين حجر وصاحب كشف الظنون .

٢٢ - طرايع الزمان ، مجموع من شعره ، ذكره البدر البشتكي في مقدمة الديوان .
 صاحب الفاضل من كلام الفاضل يومه معارف من كلام الفاضل : جميعا بأمر
 السيد أبي الفوارس .

ذكره الصفي وصاحب كشف الظنون : ومعه نسخة خطية بمكتبة
 الشيخ الرحباني ، وعنها مصورة دار الكتب رقم ٣٨٨٢ أدب ؛
 ومعه بالمكتبة الأزهرية بقنوان : « المختار من إنشاء القاضي الفاضل »
 رقم ١٩ ، أدب - أمانة .

٢٣ - فوائد السطر في مسانيد الملوك أرجوزة في وصف رحلة الملوك الأفضل ، أولها :
 أين شفا الرومي على فصل الشيخين واشتلت بالوشي أرواف الكتب
 ما بين نور مسير النام وزهر يضيئك في الآكام
 ومعه نسخة مخطوطة في برلين ، وأخرى في مكتبة خزينة الأوقاف العامة
 ببغداد ، ونشرها أحمد طه في مجلة الجمع العلمي العراقي ، في الجزء الثاني
 من مجلد ٢١٧ إلى ٢١٩ .

٢٤ - الطور الهادي : شاطيع من شعره ذكره الصفي وقال : إنه سمعه من لفظه .
 وابن حجر ، وابن تقي روى في المنهل الصافي والشوكاني وصاحب كشف
 الظنون : ومعه نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس ، وذكر العلامة
 الزركلي أنه رأى منه نسخة قديمة بمكتبة اللوز بزياده .

٢٥ - محاربات ديوان ابن الرومي : تشتمل على طائفة من شعره في ذكر السيب
 والقيس والمات والامتنان والمجاء والراء والأوصاف وغير ذلك .
 ومعه نسخة مخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالأستانة ، وعنها مصورة دار
 الكتب رقم ٥٨٢٢ - أدب .

- ٢٧ - مختار ديوان ابن سناء الملوك ؛ ذكره الصفدى .
- ٢٨ - مختار ديوان شيخ الشيوخ الشيخ شرف الدين ؛ ذكره الصفدى .
- ٢٩ - مختار ديوان ابن قلافس ؛ أثبت فيه من شعره ما كان من أبناء فكره وحذف منه ما نسب إليه في ديوانه من غير شعره ، ورتبه على حروف المعجم .
- ذكره الصفدى ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب بخط محمود النابلسي ، وأخرى بالمشكاة الأزهرية ؛ وطبع بمطبعة الجوائب بمصر سنة ١٣٢٣ باسم « ديوان ابن قلافس » بتصحيح خليل مطران .
- ٣٠ - مراسلات ابن نباتة في محادثات أقرانه ، منها نسخة مخطوطة بمكتبة طلعت تحت رقم ٤٤٠٢ - أدب .
- ٣١ - مطلع القوائد وجمع الفرائد ؛ ضمنه ذكر ماتناهت إليه أفكار العلماء في تنقيح النطق وما بلغت أذهان الشعراء والكتاب في ترشيحه وتفقيحه . ورتبه على ثلاثة أقسام : « القسم الأول في محاسن أخلاق العلماء في تأويل المأاني للمشكلة ، والثاني في مبتدعات الشعراء ومخترعاتهم ، والقسم الثالث في مخترعات الكتاب ومعجز رسائلهم » ، ألّفه رسم الملك المؤيد صاحب حمّة .
- ذكره الصفدى وابن حجر والشوكاني وصاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية بمكتبة طلعت بدار الكتب رقم ٤٥١٠ أدب ، وأخرى بالمشكاة الأزهرية رقم ٤٧٣ أدب أباطة وأخرى بمكتبة خالت أفندي ، وعنها مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وذكر بروكان أيضاً أن منه نسخة بالمشكاة الأهلية بباريس .
- ٣٢ - المنتخب للنصوري ؛ مجموع من شعره . ذكره الصفدى . وقال الأستاذ عمر موسى باشا : « ولعل الشاعر جمع فيه كل ما قلّه في مدح الأفاضل ، وكان

يسمى بالنصور : على نمط ماوصله في المدائح المؤيدية التي قالها في أبيه (١) .

٣٣ - منتخب الهدية من المدائح المؤيدية : ويسمى « المؤيديات » ، وهو منتخب من القصائد التي مدح بها الملك المؤيد ملك حماة .

ذكره الصفدي وابن حجر ، وابن تقي ردى في المنهل الصافي وصاحب

كشف الظنون . ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة كوبرلي بإستانبول ، بخط

المؤلف ، وعنها مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وطبع بالطبعة الكاستلية سنة ١٢٨٩ ، وفي بيروت سنة ١٣٠٤

وفي مصر سنة ١٣٢٣ .

ونسب إليه صاحب هداية العارفين كتاب « الاكتفا من تاريخ

الخلفاء » ، والصحيح أنه لأبيه شمس الدين محمد بن محمد (٢)

ونسب إليه أيضاً كتاب « الرسالة الشهائية في الصناعات الطبية » ،

وفي دار الكتب نسخة بهذا الاسم برقم ١٥٤٣ طب ، غير منسوبة .

(١) ابن فانة المصري أمير شعراء الشرق ٢١٥

(٢) من هذا الكتاب أجزاء متفرقة في مكتبة فوله وكوبرلي وأنا صوليا

٣ - شرح العيون

وكتاب شرح العيون من الكتب الفريدة ؛ التي جمعت من شتات الفوائد ، ومشعب التراجم والطُرف والنفادر ، ومصطفى الشعر ومنجول الكلام مالا يجتمع في كتاب ؛ ألفه ابن نباته شرحاً لرسالة ابن زيدون الهزلية ؛ وكان ابن زيدون من شعراء الأندلس وكتّابها ، متضلعا من فنون الأدب عارفاً بأخبار العرب ، راوية لأشعارها وأمثالها ، حافظاً لطرفها ومُلحها ؛ كتب هذه الرسالة على لسان ولادة بنت المستكفي ، إحدى الظريفات من بنات خلفاء الغرب الأمويين إلى أحمد بن عبدوس ؛ منافسه في حبّها ، ومكانته عندها ؛ بأسلوب تهكمي ساخر ؛ وشأها بيدع الكنايات والتشبيهات ، ورصمها بالإشارات التاريخية ، والمعارف الأدبية ؛ كما ضمنها الكثير من الأبيات الرائقة ، والأمثال السائرة ، مما يعوزه الشرح والتفسير ؛ فجاء ابن نباته ؛ فشرح غريبها ، وترجم الأعيان الذين ورد ذكرهم فيها ، ثم استطرّد إلى ذكر الوقائع والأيام والأحداث ونصوص الشعر والخطب والحكم ، مما جعل هذا الشرح مرجع الباحث ، وغنية المتأدّب ، ومراد المستفيد .

ويظهر أنه ألف هذا الكتاب أثناء إقامته بدمشق ؛ وشبابه غضّ ، وعيشه موفّق ، وذهنه حاضر جميع ، فنقل إليه عصارة محفوظه ، وخلاصة ما حوته خزائنه كتيبه ؛ قال : « وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفراً فيها للطلاب منجع ، وللأفهام الناشئة ذكرى تنفع ؛ فلم يتهيأ أن أعارَ منها كتاباً ، ولا أراجع من أسنة حروفها خطاباً ، فقلت : هذا عذر آخر لم يكن في الحساب ، وهذا قصد قد تغلّقت دونه الكتب فأتها ذات أبواب ، ولم يبق إلا صُباة الحاصل التي أبقمتها نُوب الدهر ، واستنباط الثمد إذ أعجز ورود البحر ، فأملت

شرح هذه المسئلة من فكر قدمه القرح ؛ وشرحت إلا أنني مقتصر وما أظيل
 للشرح ، سيد إلى لم أجد إلا على غل خبر صحيح ، ونسب قول صريح ؛ ولم أتعلم
 ترجمة كل هذا كور من فائدة سارة ، وناصرة دارة ، وأقوال سديدة ، وأبيات
 مشيدة ، وقفر ما أخطأتها خطة سعيدة ؛ ولم آل في اختيارها جهدا ، ولا ازددت
 مع صروف الزمان إلا نقدا ، هذا مع تحبب الإكثار ، وترك الإخلال بظواهر
 الأشعار ، والتعريف مما لعل للمباحث يقتضيه من العثار ^(١) .

٤ - تحقيق الكتاب

وقد كان هذا الترميم من أوائل السكتب التي نواالت طبعاتها في هذا العصر ،
فطبع في بولاق سنة ١٢٧٨ هـ ، ثم بالطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ ،
ثم بالطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٥ هـ ، (على هامش الميث المنسجم) ، ثم بطبعة
الوسوعات سنة ١٣٢١ هـ ، ثم بطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٧ هـ ، كما طبع
بالأمشانة سنة ١٢٧٥ هـ ، ومع ترجمته بالتركية .

وجميع هذه الطبعات يشيع فيها الخطأ والتحرير ، ويعوزها الضبط والشرح
والتعليق ، مما يحول دون الانتفاع بالكتاب ؛ والوقوف على ما فيه من فوائد
ومعارف .

وجئنا تها إلى نشره نخيرت ثلاث نسخ من مخطوطاته ، وواحدة مطبوعة ،
أدرت حولها التحقيق .

١ - نسخة مخطوطة بقلم نسخ معتاد ، كتب المتن بالحزرة والشرح بالمداد
الأسود ، بخط الهادي بن محمد بن الحسن الحمزي البياضي سنة ١٠٨٠ هـ ، ويقع
في ١٢٣ صفحة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا في المتوسط ، وعليها بعض التعليقات
وهي مخطوطة بالمسكبة التيمورية برقم ٧٠٦ أدب ، وقد رويت إليها بالحرف
(بت)

٢ - نسخة خرائية بخط نسخ فارسي جميل ، وأبوابها صفحتان متقابلتان
حليتا بالذهب والألوان واللازورد ، مجدولة بالذهب والألوان كتبت سنة ١٢٥٢

وتقع في ١٢٢ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطراً ؛ وهي محفوظة بدار الكتب برقم ٥١ م
وقد رمزت إليها بالحرف (م) .

٣ - نسخة بقلم نسخ معتاد ، ناقصة من آخرها ، وفي بعض فصولها
اختصار ، ويبدو أنها كتبت في القرن الحادي عشر الهجري ، وقد كتب المتن
بالحرارة والشرح بالمداد الأسود ، وتقع في ٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطراً في
التوسط ، محفوظة بدار الكتب برقم ٥١٢٧ أدب ، وقد رمزت إليها
بالحرف (د) .

٤ - أما للطبوعة ؛ فهي النسخة التي قام بتصحيحها للرخوم الأستاذ حمزة
فتح الله ، طبعت بالمطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠ ؛ دون ذكر الأصل
المخطوط الذي طبعت عليه ؛ وبها قليل من التعليقات مما كتبه مصححها .

كما أتى رجعت إلى الكتب التي أوريها المؤلف في كتابه ، مثل كتاب
الأغاني لأبي الفرج ، والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ ، وجمهرة الأمثال
للعسكري ، وجمع الأمثال للبيدائي ، ومفردات الراغب الأصفهاني ؛ وغيرها
من كتب التاريخ والأدب والمعاجم ودواوين الشعر مما أشرت إليه في مكانه ،
كما صنعت له الفهارس المتنوعة .

* * *

وبعد ، فقد قام الأستاذ عمر موسى باشا بدراسة وافية عن ابن نباتة ، أوفى فيها
على الغاية ؛ وبلغ بها من جدّة البحث ، وجمال الأسلوب ، وسلامة المنهج مبلغاً
بعيداً ؛ وقد أفدت منه في هذه المقدمة ، ولولا أنني قصدت فيها أن أتحدث
عن كتابه سرح العيون ، وأن أستطرد لاستقرأ جميع كتبه ، وألني ضوءاً

على حياة ابن نباتة بالقدر الذي يناسب هذا المكان ، لكنت اكتفيت
بهذه الدراسة التي أسماها : « ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق »^(١) ، وكان
فيها كفايةً وغناءً .

والله وليّ الهداية والتوفيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة { ١٥ شعبان سنة ١٣٨٣
٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٣ }

(١) طبع بدار المعارف من مجموعة مكتبة الدراسات الأدبية سنة ١٩٦٣ .

